

الاصول التاريخية

ظهرت منذ عشرينات القرن الماضي كتابات متناثرة عن تطبيق مبادئ التعلم في علاج الاضطرابات السلوكية، ألا أن تأثيرها في ممارسات الطب النفسي وعلم النفس الإكلينيكي ظل محدوداً حتى الستينات حين برز العلاج السلوكي بوصفه منهجاً نظامياً شاملاً في العلاج ، وذلك في ثلاثة مواقع هي :

١- أعمال (جوزيف فولبي) في جوهانسبرج بجنوب أفريقيا، وقد استخدمت فيها أساساً أساليب بافلوف لإحداث وإزالة العصاب التجريبي في الحيوان. وقد ظهر منها أسلوب (التخلص التدريجي من الحساسية) وهو النموذج الأب للكثير من إجراءات العلاج السلوكي المعاصر في التعامل مع القلق وفي ضوء منبهات يمكن التعرف عليها في البيئة.

٢- أعمال (هـ . ج أيزنك) و (م . ب شايبرو) في معهد الطب النفسي بجامعة لندن. وقد اهتموا بالمدخل التجريبي الامبيرقي لفهم وعلاج المريض وباستخدام نموذج الحالة الفردية الضابطة لنفسها ونظرية التعلم الحديثة في عملية العلاج.

٣- الأعمال المستوحاة من بحوث (ب. ف سكينر) في جامعة هارفارد بتطبيق تكنولوجيا (الإشراف الإجرائي) على المرضى، وقد نشر (ماورار) عام ١٩٣٨ نتائج تجربتهما في (الإشراف الكلاسيكي الاستجابي) في علاج التبول اللاإرادي، وفي عام ١٩٤٩ نشر (سليتر) كتاباً في العلاج عن طريق الفعل المنعكس الشرطي، وعلى مر السنين بذلت محاولات عديدة لتصور دور التعلم في العلاج النفسي ومنها محاولات (دولارد و ميللر و زوتر و شوبين و باندورا)، وقد صاغ (لندزلي و سكينر) في أوائل الخمسينات مصطلح (العلاج السلوكي) في محاولاتهما تعديل السلوك الذهني، وذلك بالرغم من أن المصطلح قد استخدمه بصورة مستقلة (أ.أ. لازاروس و أيزنك) بعد ذلك بفترة.

وفي العصر الحديث يعتبر تعديل السلوك حديث نسبياً، وهو فرع من فروع العلاج والإرشاد النفسي، قام على أساس نظريات ومبادئ التعلم، لكن لم تبدأ الإشارة إليه بشكل مباشر إلا بعد أن كتب (جوزيف فولبي) كتابه الشهير عن العلاج بالكف بالنقيض عام ١٩٥٨ م، وبعد ذلك بعام واحد نشر (هانز أيزنك) في إنجلترا دراسة عن علاج السلوك ثم تطور هذا العلم على يد (أيفان بافلوف و واطسن و سكينر)، الذين قدموا نظريات التعلم ثم ظهرت في السنوات الأخيرة نظرية التعلم الاجتماعي التي طور مفاهيمها (ألبرت باندورا) والتي ترى أن تأثير البيئة على اكتساب وتنظيم السلوك يتحدد من خلال العمليات المعرفية

المقدمة:

قد يعتقد البعض أن تعريف تعديل السلوك أمر سهل، ولكن في الحقيقة غير ذلك، فقد

تعد من القضايا الجدلية العميقة وقد تعود هذه المشكلة إلى أسباب عدة منها:

- شعبية هذا الميدان وامتداده إلى العديد من العلوم التطبيقية حيث أصبح الكثير يستخدم مصطلح تعديل السلوك للإشارة إلى أجزاء تستخدم لتغيير السلوك، وهو ما يتداخل مع مصطلحات أخرى فالعقاقير مثلاً تستخدم في تغيير سلوك الإنسان فهل يمثل شكلاً من أشكال تعديل السلوك.

- من الخطأ استخدام مصطلح تعديل السلوك للإشارة إلى كل الأساليب التي يمكن استخدامها للتأثير في السلوك الإنساني فتعديل السلوك ليس مجرد تغيير في السلوك أو محاولة التأثير فيه، كما يجب التمييز بين التأثير في السلوك، وتعديل السلوك فالتأثير في السلوك يحدث عندما يفعل شخص ما أي شيء من شأنه أن يؤثر في سلوك شخص آخر وهو ما يحدث باستمرار في مواقف مختلفة مثل: التدريس، الإعلانات وتربية الأطفال، الحملات الانتخابية، التفاعلات الاجتماعية).

تعريف تعديل السلوك:

يعرفه ستولز ورفاقه: هو نوع خاص من أنواع التأثير في السلوك يشتمل على تطبيق المبادئ التي انبثقت عن البحوث العلمية في علم النفس التجريبي بهدف الحد من معاونة الإنسانية وتحسين الأداء الإنسان، كما يركز على المتابعة المنظمة والتقييم الموضوعي المتكرر لفاعلية الإجراءات المستخدمة فأساليب تعديل السلوك عموماً تهدف إلى تحسين الضبط الذاتي وتطويره من خلال تحسين مهارات الفرد وقدراته.

وفي الحقيقة ليس هناك تعريف واحد لتعديل السلوك فقد يستخدمه بعض الباحثين للإشارة إلى تطبيق قوانين التعلم بشكل عام أو تطبيق الاشتراط الإجرائي والاشتراط الكلاسيكي. أو يستخدم بشكل آخر في تعديل الظروف البيئية والاجتماعية وإعادة تنظيمها بهدف تغيير السلوك وليس تغيير عمليات نفسية داخلية، كما يستخدم في الإجراءات العلاجية المستمدة من نتائج البحوث النفسية أو ميدان يستخدم فيه فنيات معينة لتحقيق أهداف وفق منهجية معينة.

تعديل السلوك والعلاج السلوكي:

يجيب التمييز بين المصطلحين فيعرف تعديل السلوك مفهوم عام ومنهج علمي يعتمد على تطبيق إجراءات علاجية معينة الهدف منها ضبط المتغيرات المسؤولة عن حدوث السلوك، وذلك لتحقيق الأهداف المرجوة من وراء هذا التعديل ليحدث التكيف مع بيئة الفرد التي يعيش فيها.